

آراء وأصداء

كاتب ياسين ومسرحيته الجديدة

وفي سنة ١٩٤٩ ، كان محررا في جريدة « الجيه ريبوبليكان » ، وفي هذه السنة سافر الى السعودية والسودان وآسيا الوسطى السوفياتية وكتب عنها مقالات ونظم فيها قصائد . وتلا ذلك موت ابيه وانقطاعه عن الكتابة في الصحف ، وعمل حالا في مرفأ الجزائر ، ثم كانت بطالته الطويلة ، وعودته الى فرنسا في سنة ١٩٥١ حيث عمل مزارعا وعاملا ومساعد بناء كهربائي . غير انه استطاع بين ١٩٥٢ و ١٩٥٤ ان يتفرغ لانهاء مؤلفين كان قد شرع فيها منذ امد طويل ، وكان عليه ان يتمها ، وهما رواية «نجمة» ومأساة « الجثة المطوقة » . وفي هذه الحقبة تم اللقاء بينه وبين جان ماري سيرو ، وبعد ذلك بثلاث سنوات اي في سنة ١٩٥٨ كانت «الجثة المطوقة» تمثل لأول مرة ، في مدينة بروكسل ، ثم مثلت في باريس . وفي بروكسل لاقت نجاحا منقطع النظير ، واما في باريس فان الصحفيين القليلين الذين شاهدوها تأرجحوا بين الضيق والحماس والدهشة . وماذا كانت تقول هذه « الجثة المطوقة » ؟ كانت تقول :

منذ مائة سنة ونحن نجرد من السلاح
وما بقي لنا منه لا يكاد يكفي للاصطياد...
كل سنة في كل موجة عميقة
تري اطيافنا المطعونة بلا جدوى
تفوص غوصا مائلا في الصخور
وتضيع ضياعا جديدا
يبعث في النفوس اسمى طويلا.
غير انه من النادر ان تسمع نجيب ارواحنا

« ذات مساء من سنة ١٩٥٥ قرأت من الدفة الى الدفة مسرحية (الجثة المطوقة) الصادرة في مجلة (اسبري) ، وكان مؤلفها جزائريا يدعى كاتب ياسين . وفي صباح اليوم التالي ذهبت اطرق باب غرفته الحفيرة في شارع الريفولي ، فظن ان الطارق من رجال الشرطة ... »

ولم يكن الطارق من رجال الشرطة ، بل كان مخرج بيكيت وبريخت الشهير ، جان ماري سيرو : لقد قيل عنه انه مخرج الطليعة ، والواقع انه جواب حقيقة .

« ان صداقتنا الحالية ترقى الى ثلاث عشرة سنة وهي لم تزد الا وثوقا مع الزمن ، فلقد طالما عملنا وكافحنا معاً ، وبفضله تحسنت مشكلة الجزائر ووعيتها . ولا اريد القول اننا صديقان لانه عربي وانا فرنسي ، بل الاصوب القول اننا كذلك لانه مؤلف مسرحي وانا شاعر . »

ولد كاتب ياسين في السادس والعشرين من شهر آب (اغسطس) ١٩٢٩ ، من عائلة عريقة في شؤون القلم . وكان في السادسة عشرة من عمره عندما اوقف للمرة الاولى وسجن عدة شهور بنتيجة مظاهرات ٨ ايار (مايو) ١٩٤٥ . وفي السنة التالية كان ينشر باكورة نتاجه الشعري بعنوان « نجوى » ، ثم يسافر الى باريس للمرة الاولى ويقضي فيها تسعة اشهر . اما مقامه الثاني في هذه العاصمة فصادف سنة ١٩٤٨ ، ايام نشرت مجلة « ميركور ده فرانس » قصيدته الطويلة « نجمة » .

عاشقة ، محافضة ، شاهدة ، مناضلة ، رمز شعب ، رمز ارض ، وهي في الوقت ذاته ديتر وبرسيفونه . هذه هي عظمة كاتب ياسين وعبقريته : اعطاء اشخاصه ومسرحه رحابة الشعر وحقيقته من جهة ، ومن جهة ثانية اقحام واقع حسي في شعره يجد فيه معناه ويكسبه مذاقاً بسيطاً وعادياً . لا ريب ان هذا يدخل في عبقرية الروح العربية التي تتلصق هنا ، وكأن ذلك حدث بيد سحرية نابضة في اطار من اللغة الفرنسية .

يقول سيرو : «اني لم افهم ان حب الوطن يتضمن ايضاً ان يحب الآخرون اوطانهم ، الا بعد ان تعرفت الى هذا المؤلف . ويبدو لي ان المؤلفين من طراز كاتب ياسين يعملون على احوال التفاهم بين الناس مكان المشكلات التي تفرقهم . ان كاتب ياسين يعمل على ثورة عالمية ليست بعيدة عن حرفتي كخروج » .

وأسأله : بعد بيكيت وبريخت ويونسكو ، الم يطرح اخراج كاتب ياسين على المسرح مشاكل خاصة ؟

« من المؤكد انه ليست هناك مشكلة حقيقية في اخراج كاتب ياسين على المسرح ، لانه في كل مرة يعبر شاعر عن افكاره بواسطة هذا الفن ، فانه يحمل من المحم إعادة النظر في مفهوم المسرح . فالشاعر هو الذي يستعمل كلمات جديدة ويحلب على المسرح لغة جديدة ، وكاتب ياسين في هذا الحقل اكتشاف جديد بكل معنى الكلمة ، لانه يكتب باللغة الفرنسية ، وينقل الى هذه اللغة تلك الروح العربية التي حلم الفرنسيون بمسحها بواسطة اللغة » واصادف « نجمة » ، اي ادوين مواني ، بوجهها الشبيه بوجه كاهنة رومانية وبشيتها الهادئة . ولدت في الجزائر سنة ١٩٢٩ وغادرتها وهي في العشرين من عمرها ، وهي تعمل منذ ثماني سنوات ممثلة في فرقة سيرو .

لان الزمن فمسه جريماً بين اسناننا
كمفكرين شباب
مدفونين في الهياكل .
لان من خارج شواهد القبور
تأتينا آلام خطيرة
تعمكر علينا الموت في ينايبه .

تروي «الجثة المطوقة» قصة الجزائر عبر العصور والرجال ، عبر هذه الفترة المحمدة التي تدعى الحاضر المتشح برداء الدم وسوء التفاهم . والواقع ان حركة المأساة الداخلية تتلقي دائماً لدى كاتب ياسين بحركة الملحمة الخارجية وتؤلفان شيئاً واحداً يعطي ما يكتب هذا المؤلف شكله ويضفي عليه روحه . روح وشكل لا يتطوران زمناً ولكنها يتداحان في خطوط حلزونية ودائرية مختلفة الاتساع . فالحاضر والماضي وحتى التنبؤ بالمستقبل ذات علاقة بذاكرة هي في الوقت نفسه ثابتة وثائرة .

وقد بدا للمؤلف وللخرج انه ينبغي التمسك لهذه الملحمة المعاصرة بملحمة تاريخية مؤلفة من بعض الصور التي تمثل المجهوم التركي ثم المسيحي . وبدأ لها ايضاً انه ينبغي تفسير اعمال بعض الارهابيين من اجناس البشر المختلفة دون تبريرها . على كل حال ، يقول اشخاص هذه المسرحية ، ليس بإمكاننا اختيار الوسائل : لا نريد لفت النظر الى جثتنا بل الى جروح من لا يزالون على قيد الحياة .

وتفقد هذه المأساة ، التي طرأ عليها هذا التحوير والتعديل ، اسمها الاول ، وتصبح مسرحية بثلاثة فصول وب عنوان « المرأة المتوحشة » التي يجري الآن تمثيلها في باريس .

وهذه « المرأة المتوحشة » هي بكل تأكيد نجمة المائلة ابدأ في آثار كاتب ياسين . في شعره وقصصه ومسرحه هي دائمة الحضور ، بطيخة الزوال ، تسلم دائماً ولكنها لا تباع ، خلافة ،

«لا لا ! كلما ازدادت شهرتي اصبحت بسيطا .
ارجوك ان تتأكد من ذلك . كلما ازدادت ..»
واخذ يعاقر الحجرة على شرف المرأة الهمجية .
«اجل - من جهة انا مسرور من تمثيل
مسرحتي تمثيلا جيدا ، ومن جهة ثانية ، لست
مسرورا . . .»

لماذا ؟ لا احد يعرف ذلك ابدا . وجلس برهة
ولكن بدا عليه جليا انه لن يطيل المكوث ، وانه
يشرح وجهة نظره لانه لا بد من الجواب على ما
يسأل عنه .

«ان كل معتقد ديني او فلسفي ينتهي دائما بمحاكمة
الشاعر الذي يحمل لواءه . فاذا لم يستطع ان يعبر
عن افكاره تماما فانه ينفلق . هذه وظيفته . انه
يقوم بثورة داخل الثورة السياسية . فهو وسط
المعركة المشاغبات الازلي . لان مأساته هي في انه
يقع في خدمة صراع ثوري ، هو الذي لا يستطيع
ان ينسجم مع مظاهر الساعة . الشاعر هو الثورة
في حالتها الطبيعية ، هو حركة الحياة المتفجرة
باستمرار .»

ويقف ويتوجه نحو البار ، ويفرغ كأس بيرة
في جوفه ، وهو يقول بين حركتي تنفس دون ان ينظر
الى احد :

«فيا مضي كنت احب امرأة في الجزائر - ولكنها
مضت مع فرنسي . كانت تدعى ولكن
لا دخل لاحد بذلك ، اعطني بيرة ثانية يا ولد !»
في الخارج ، الشتاء الباريسي القاسي ، واسم نجمة
المنفرش تحت الثلج .

لوك نوران

قالت : « لقد صادفت كاتب ياسين في احد
الايام عند بعض الاصدقاء فاخبرني ان سيرو
يعتزم قراءة (الجنة المطوقة) في نادي رابطة الطلاب
المسلمين . وعرض علي دور (نجمة) ، فقبلت . ومنذ
ذلك الحين وانا امثل هذا الدور . لقد استطعت
التفاد ليس فقط الى قلب المرأة التي اقوم بدورها
بل الى لب المسرحية كلها ، وتراني افهم كاتب ياسين
اكثر فاكثرا . ومنذ تقديمنا هذه المسرحية لاول
مرة في بروكسل ما قئتم تمثيلنا لها يصفو شفافيتها
مفتديا بما جرى في الجزائر وبفعل الزمن .»
وماذا تقول المثلة عن المسرحية ؟ انها تحبها
بدون لف او دوران :

«اعتبر ان مأساة كاتب ياسين العربية حسنة
في اللغة الفرنسية ، لانها شديدة الامتلاء ، لا ترى
فيها جلة نافلة . بل كل ما فيها ينبع من بناييع تقية .
وبينا يحاول سيرو ايجاد حقيقة الصور نجتهد نحن
في ابرازها ... اني احلم بتمثيل هذه المسرحية في
الجزائر ، احلم بنظارة يربون على نظارة العاب
السيرك ... انها مأساة تزيد روعة لدى تمثيلها .»

لقد لامت « المرأة الهمجية » شخصية ادوين
مواتي : فهي بوجهها الصارم على دماء خلقها
وحركاتها الهادئة كأنها تنحدر مباشرة من الاجيال
الرثينة الحالية .

منذ شهرين عاد كاتب ياسين مجددا الى باريس
واشتغل كثيرا مع جان ماري سيرو وحضر جميع
البروفات . وقد وجدناه هذا المساء بعد ان اغلق
المسرح ابوابه محاطا ببعض الاصدقاء في احد المقاهي
المجاورة ، يقول بين المزح والجد وهو يرت على ظهر
صديق له :